الذرية المنطقية Logical Atomism

« برتراند رسل »

بقلم الدكتور ياسين خليل

تمثل الذرية المنطقية اتجاهاً فلسفياً معاصراً بدأ على يد كل من الفيلسوفين برتراند رسل ولودفيج فتجنشتاين ، واتخذ هذا التيار الفلسفي مكان الصدارة في الحقلين المنطقي والفلسفي ، فأثر تأثيراً بليغاً في الفلسفة المعاصرة ، مبيناً امكانية وضع طريقة علمية في الفلسفة [1] تعمل على تطوير المفاهيم الفلسفية وتوسيع مدارك الفكر الفلسفي ليخدم العلم والعلماء ، بعيداً عن الجدل والتأملات الميتافيزيقية فكان التحليل رائد رسل في اكتشاف انواع الذرات (او الوحدات الاولية) التي تتألف منها التراكيب المنطقية [2] ولم تكن فلسفة الذرية المنطقيه من وضع رسل وحده ، بل اننا نجد الكثير من الآراء والافكار البناءة عند فتجنشتاين الذي كان همه تحليل اللغة لمعرفة العناصر او الرموز الاولية وصلتها بالعالم الخارجي ، وبناء طريقة تحليلية لمعرفة العناصر المكونة للقضايا الميتافيزيقية واثبات سخفها ولا نريد هنا دراسة فلسفة فتجنشتاين ، لان ذلك يحتاج الى تحليل خاص لما له من مكانة منفردة في تاريخ الفلسفة المعاصرة ، ولكننا نختص بالبحث جانباً واحداً من جوانب متعددة في فلسفة برتراند رسل ، محاولين بذلك معرفة الافكار الاساسية لهذه الحركة الفلسفية التي غزت التفكير الانكليزي بعد الحرب العالمية الاولى ،

---

1) Russell, B., Our Knowledge of the external World

2) Russell, B., Logic and Knowledge P. 189

وكان لها اكبر الاثر في تحديد اتجاهات الفلسفة التحليلية المعاصرة في بريطانيا والمانيا والنمسا وامريكا ولكن هذا التحديد في الدراسة والبحث لا يمنع من بيان الآثار المهمة التي تركها فتجنشتاين في هذا التيار الفلسفي لتوضيح المعالم الفلسفية لهذه النظرية عند رسل

يرجع الفضل في تسمية هذا التيار الفلسفي باسم « الذرية المنطقية » الى رسل نفسه ، ففي بداية سنة ١٩١٨ قام رسل بالقاء محاضرات في لندن نشرت في مجلة « The Monist » بين سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩١٩ وتتألف هذه المحاضرات من ثمانية موضوعات فلسفية ومنطقية مهمة اشتملت عليها مجموعة المحاضرات ، وهي تبين دون شك محاولات رسل في الخروج بنظرية جديدة استقى معلوماتها الاولية مما تعلمه من فتجنشتاين ، عندما كان الاخير طالباً وصديقاً لرسل فاشتملت هذه المحاضرات على دراسة الوقائع « Facts » والقضايا ، وتقسيم القضايا الى بسيطة او ذرية Atomic Propositions ومركبة او جزئية Molecular Propositions ، والقضايا العامة General Propositions ، والعبارات الوصفية ونظرية الانماط المنطقية والميتافيزيقا

يظهر من هذا العرض للموضوعات التي يتناولها رسل في نظريته انه اختار بعض المفاهيم الجديدة مثل « القضايا الذرية والجزيئية » ، وكأنه يريد بذلك الوصول الى العناصر الاولية البسيطة في المعرفة المنطقية والفلسفية ، وهو في عمله هذا يشبه عمل عالم الفيزياء في تحليله للمادة ، مستهدفاً الوصول الى معرفة العناصر الاولية البسيطة التي تكون المواد ولا نقصد بالعناصر الاولية في المادة الالكترونات والبروتونات وغيرها ، بل الذرات وما ينتج عنها من جزيئات تتألف من اكثر من ذرة ، لان الذرة هي العنصر المميز للمادة ، بينما تتشابه الالكترونات في جميع المواد فالذرة في المادة تحتفظ بخواص تختلف باختلاف المادة ، فهي الوحدة الاساسية ان تحليل اللغة الى وحداتها الاساسية يشبه لحد كبير تحليل المادة ، فاللغة ما هي الا نظام مؤلف من رموز تترتب تبعاً لقواعد لغوية ، صرفية او نحوية ، وتؤدي غرضاً اجتماعياً وفكرياً هو النقل الفكري والعاطفي بين الناس ، وان تحليل هذه اللغة الى رموزها المعقدة ثم تحليل الرموز المعقدة الى رموز اقل تعقيداً ، ثم تحليل هذه الى رموز ابسط ثم ابسط وهكذا ، يقودنا اخيراً الى معرفة الرموز البسيطة التي لا تتحلل

الى رموز ابسط منها ، وهـذه الرموز هي الذرات ويختلف التحليل باختلاف الهدف الذي يرمي اليه الباحث ، ففي علم اللغة مثلا يختلف التحليل في مستوى الجمل والقضايا عنه في مستوى الـكلمات ، ويختلف هذا التحليل في مستوى الاصوات فالذرات او الوحدات الاساسية في مستوى الجمل والقضايا هي العبارات البسيطة التي لا يمكن تحليلها الى قضايا وجمل اصغر منها اما الذرات في مستوى الـكلمات فهي العبارات البسيطة التي لا يمكن تجزئتها الى كلمات اصغر منها اما الذرات في مستوى الاصوات فهي الوحدات الصوتية « Phonem » التي لا يمكن تجزئتها الى وحـدات صوتية اصغر منها [١] اما في التحليل المنطقي فان الامر لا يختلف كثيراً ، فالذرات عنـد رسل هي المفردات Particulars مثل المحمولات والعلاقات والالوان .. وغيرها وتكون الذرات في فلسـفة الذرية المنطقية قضايا بسيطة كذلك لا سيما وان القضية الذرية هي الوحدة الاساسية في المعرفة وان تجزئتها الى اصغر منها يفقدها صفتها الاساسية ان السبب الذي دعا رسل الى تسمية مذهبه « بالذرية المنطقية » هو ان الذرات التي يريد الوصول اليها والتي ينتهي عندها التحليل هي الذرات المنطقية وليست الذرات الفيزياوية ان بعض هذه الذرات يسميها رسل « مفردات » مثال ذلك الاصوات وبقع الالوان والمحمولات والعلاقات وغيرها [٢]

من هذا التحليل البسيط نستطيع الآن تحديد « مفهوم الذرية المنطقية » بشكل عام وشامل يعرض مهمة الفيلسوف وطبيعة البحث ان مهمة الفيلسوف هي التحليل او تحليل الفكر الى عناصره الاولية البسيطة ، فمن المعروف في نظرية المعرفة عند دافيد هيوم ان العناصر الاساسـية المكونة للمعرفة هي الانطباعات impressions والافكار ideas ، باعتبارها أوليات الفكر الانساني ، وان المعرفة الانسانية تتركب من هذه العناصر ، فهي على هذا الاساس بمثابة الذرات في المعرفة اما بالنسبة لرسل في نظريته ، فان الوحدات الاساسية في المعرفة ليست الافكار والانطباعات ، بل المفردات والقضايا البسيطة ولما كان المنطق الذي اسسه رسل يعتمد على القضايا ، فان اهتمامه في تحليل نظرية المعرفة ينصب ايضاً على القضايا وما لها من صلة بالعالم الخارجي ، وهذا معناه ان علينا ان ندخل من باب

---

(١) انظر مقالتي في مجلة كلية الآداب ـ العدد الخامس سنة ١٩٦٢ تحت عنوان : منطق اللغة »

(2 Russell, B., Logic and Knowledge P. 179

المنطق لنفهم نظرية المعرفة

ونظرية الذرية المنطقية وثيقة الصلة بتفكير رسل الرياضي ، فهي كما اشار في محاضرته الاولى المنشورة في The Monist ، اجبرته على اعتناقه لها من خلال تفكيره في فلسفة الرياضيات [1] ان منهج رسل في اقامة البناء الرياضي او المنطقي يعتمد على اختيار افكار او رموز اولية بسيطة تتكون منها المبادىء والبديهيات او القضايا ، ومن هذه البديهيات والمبادىء يشتق الرياضيات اما في الفلسفة الذرية فان الطريقة لا تختلف كثيراً ، لان رسل وفتجنشتاين يبحثان عن الذرات او الاوليات التى تتألف منها المعرفة ، وهذه الذرات هي المفردات ، ثم يحاول كل منهما بطريقته الخاصة بناء اللغة والمعرفة ان هذا العمل الفلسفي يرتبط كذلك بالاعتقاد ان تركيب المنطق يعطينا صورة عن العالم ، وان العالم له هذا البناء المنطقي الذي وضع رسل ووايتهيد اصوله في كتاب « اصول الرياضيات Principia Mathematica ومن الجدير بالذكر هنا ان هذا المنطق يهتم بالقضايا ودالات القضايا والفئات والعلاقات وهي الاجزاء الضرورية في المنطق الرياضي والتى تساعدنا مبادؤها ومفاهيمها لاشتقاق علم الرياضيات ولما كانت المعرفة الانسانية غير ممكنة التعبير عنها بالمفردات او الحدود ، فان القضايا هي الاصول الاولية للتعبير عن المعرفة وهذا هوالسبب الذي جعل رسل يحلل في محاضرته الاولى « الوقائع والقضايا » ، ويعتبر المفردات فيالعالم الخارجيجزءاًمن الواقعة ، ويعتبر الاسماء والحدود جزءاً من القضايا واذا سلمنا ان القضايا هي الاساس في المنطق ، فاننا بذلك نتوصل الى تحديد مفهوم « الذرية المنطقية » باعتبارها تياراً فلسفياً اولا ونظرية تحليلية ثانياً فاسم هذا التيار مشتق من معالجة النظرية للقضايا باعتبارها الوحدات الاساسية في المعرفة اولا وعنصراً منطقياً منها ثانياً فهي علىهذا الاساس ذرية من جهة العناصر الاولية ومنطقية من جهة القضايا وتحليلها

ومن الضروري أن نشير هنا الى الاسباب الموجبة لظهور هذه النظرية ، ومعرفة التقليد الفلسفي الذي كان سائداً آنذاك في الجامعات الانكليزية ، لأن في ذلك المفتاح الذي يكشف لنا عن الدوافع الحقيقية الكامنة وراء نظرية الذرية المنطقية . فلقد بدأ رسل

1) Ibid., P. 178

حياته الفلسفية بان اعتبر هيجل أعمق الفلاسفة فكراً وأوسعهم معرفة ومهجاً ، لاسيما وان الفلسفة الهيجلية قد احتلت في أواخر القرن التاسع عشر فى انكلترا مكاناً بارزاً ، واتجهت الفلسفة الانكليزية التي امتازت بكونها تجريبية دائماً الى المثالية ، فأصدر برادلي كتابه المعروف في المنطق « مبادىء المنطق »[1] وكتابه فى الميتافيزيقا « المظهر والحقيقة » ، فعرض في الاول نظريته الميتافيزيقية وعلاقتها بالقضايا والمبادئ المنطقية ، بينما اكد فى الكتاب الثاني على وحدة الحقيقة غير المجزءة ولكن رسل سرعان ما اتجه بفعل ممارسته ودراسته للرياضيات الى طريق آخر يبتعد عن الفلسفة الهيجلية ، وكان من اسباب تغيير اتجاهه الفلسفي انه قرأ كتاب هيجل في المنطق[٣] الذي وجد فيه عدم دقة ومعرفة في أصول الرياضيات ، فاعتبر ما جاء في هذا الكتاب مجرد كلام فارغ ، وبذلك انفض عن هيجل ، ليجد طريقاً فلسفياً جديداً وكان أهم حدث ظهر في حياة رسل الفكرية هو تعرفه على ما توصل اليه بيانو « G. Peano » [٤] وتلامذته في حقل المنطق والرياضيات واستعمالهم لطريقة رمزية دقيقة ، فكان ذلك أول الطريق الذي أدى بعد ذلك الى تكوين نظرته الرياضية والفلسفية بدأت بعد ذلك مرحلة جديدة ذات وجهين : يمثل الوجه الأول في محاولات رسل لبناء الرياضيات من مبادئ ومفاهيم منطقية [٥] ، ويمثل الوجه الثاني في رفضه للنظرة الشاملة للوجود وتأكيدة التحليل فى معرفة الجزئيات [٦] وهكذا كانت هذه المرحلة متميزة بطابعين : الأول ويتصل بأسس الرياضيات ، ويتصل الثاني بأسس المعرفة ، فكان في الاول منطقياً وفى الثاني تجريبياً

---

1) Bradley, F. H., The Principles of Logic 1883

2) Bradley. F. H., Appearance and Reality 1895

3) Hegel's Logik

٤) التقى رسل بعالم الرياضيات الايطالي بيانو في المؤتمر الدولي للفلسفة الذى انعقد في باريس سنة ١٩٠٠ ، وجرت مناقشات مهمة حول اسس الرياضيات وطبيعتها ، فطلب رسل من بيانو ان يطلعه على مؤلفاته التي انكب رسل على دراستها ، فأدرك اهميتها في الدراسات الرياضية والفلسفة معاً

5) Russell, B , The Principles of Mathematics 1903

كانت محاولة رسل في هذا الكتاب هي ان يخضع الرياضيات الى المنطق ، ويشتق علم الرياضة من مبادىء ومفاهيم منطقية ، ونضجت هذه المحاولة بالاشتراك مع الفريد نورث وايتهيد في كتابهما أصول الرياضيات Principia Mathematica

6) Russell, B , The Problems of Philosophy : انظر بدايات تفكيره التجريبي في كتابه

لم يكن رسل في فلسفته ميتافيزيقياً أو مثالياً بالمعنى المألوف في الفلسفة ، وان كانت فلسفته الذرية المنطقية تحتوي باعترافه على نوع معين من الميتافيزيقا [1] ، ولم تكن نظرته الى الوجود أو العالم الخارجي شبيهة بنظرة فلاسفة المثالية في اعتقادهم ان الكلي هو الحقيقة ، وان الحقيقة لا تكون في معرفة الجزئيات ففي فلسفته نلمس ثورة فلسفية تعتمد التحليل والنظرة الفلسفية الى المفردات والجزئيات ، هي بلا شك ثورة على الفلسفة التي سادت في تلك الفترة

فكان رسل يمثل بداية تيار التجريبية أو الواقعية الجديدة « Neo-Realism » ، وكتاب رسل المعروف « مشكلات الفلسفة » ، وان كان يمثل بداية تفكيره التجريبي الا انه في كثير من آرائه يقترب من المثالية ، لاسيما في تقريره وجود الكليات[2] Universals ولكن رسل في فلسفته الذرية المنطقية التي اعتمد فيها التحليل المنطقي ، تجريبياً ومنطقياً في معالجته لمشكلات الفلسفة والرياضيات ، وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار نظرية الذرية المنطقية ميتافيزيقية [3] ، لكونها نظرية وضعت من قبل فلاسفة يؤمنون بالتجريبية ، والتجريبيون معروفون بعدائهم للفلسفة الميتافيزيقية [4] ويبرز الفرق بشكل واضح بين فلسفة رسل والفلسفة الميتافيزيقية في ان الثانية تبحث في العالم الخارجي لتصل الى تقرير انه لايصلح ان يكون حقيقة ، وان علينا ان نبحث عن هذه الحقيقة خارج حدود العالم الخارجي أما نظرية رسل فانها اضافة الى تقريرها وجود العالم الخارجي ، تتوسل باللغة لمعرفة الحقائق والافكار ، لأن اللغة وسيلة تعبيرية عن الافكار ، وان اخطاء فلاسفة المثالية مثل بيركلي ناتجة عن استعمالات خاطئة للغة لقد أكد هذه الحقيقة فتجنشتاين في بحثه « رسالة منطقية ـ فلسفية » بقوله :

---

1) Russell, B., Logic and Knowledge P : 178

2) Russell., The Problems of Philosophy P: 95, Ch. IX

٣) هناك رأي آخر يتزعمه بعض الفلاسفة مؤداه ان نظرية رسل هذه ميتافيزيقية ، بل ان طريقة التحليل ذاتها ميتافيزيقية ، وهم في تفسيرهم للميتافيزيقا يختلفون عن اسلافهم الفلاسفة في فهمهم للميتافيزيقا ومن اهم الدراسات في هذا الحقل كتاب : التحليل الفلسفي

Urmson لمؤلف Philosophical Analysis

4) The Revolution Philosophy, P: 46-47

[يحتوي هذا الكتاب على عدد من مقالات كتبت من قبل مختصين بالفلسفة ، والمقال الذي اقتبسناه منه تحت عنوان رسل وفتجنشتاين للكاتب D. Pears]

« ان معظم القضايا والأسئلة التي كتبت حول أشياء فلسفية ليست كاذبة ، بل سخيفة لذلك لا نستطيع الاجابة كلياً عن اسئلة من هذا النوع ، وما علينا إلا بيان سخافتها ان معظم اسئلة الفلاسفة وقضاياها ناتجة عن عدم معرفتنا لمنطق لغتنا [١]

ان اثر فتجنشتاين في نظرية رسل المعروفة بالذرية المنطقية شيء لايمكن نكرانه ، ولقد أشار رسل الى هذا التأثير بوضوح [٢] فلقد استلم رسل من فتجنشتاين في بداية عام ١٩١٤ مخطوطة مفيدة كتبت على الآلة الطابعة تحتوي على كثير من النقاط المنطقية ، كان لها اكبر الأثر في وضوح فلسفة الذرية المنطقية وبيان خطوطها الاساسية ، واصبحت الموضوعات التي اثارها فتجنشتاين اساساً في فلسفة رسل المنطقية ولكن ذلك لايعني مطلقاً أن نظرية الذرية المنطقية مدينة كلياً لآراء فتجنشتاين ، لاننا إذا رجعنا قليلا الى الوراء لاستقصاء التطور الفكري عند رسل ، فاننا نلمس بوضوح الأصول الرئيسة لفلسفته الذرية التي اختمرت واكتمل بناؤها بتأثير فتجنشتاين فمن أهم الكتب الفلسفية التي نشرها رسل قبل فترة الذرية المنطقية كتابه المعروف « معرفتنا للعالم الخارجي » [٣] الذي ناقش فيه الطريقة في الفلسفة ونظرية المعرفة وما يتصل بها ، وناقش نظرية الاستمرارية " Theory of Continuity » ونظرية اللانهاية " Theory of infinity »

وتعرض لنظرية جون ستيوارت مل في القضايا المنطقية مؤكداً أن المعرفة المنطقية لايمكن أن تشتق من الخبرة الحسية فقط ، وان فلسفة التجربة لا يمكن قبولها بوضعها الشامل [٤] وتعرض بالنقد لمفهوم المنطق عند هيجل الذي اتخذ لنفسه طريقاً ميتافيزيقياً يختلف عن الطريق المنطقي المعروف في الدراسات الرياضية والطبيعية ، فالمنطق في اعتقاده لا يتعدى أن يكون البحث في طبيعة الكون وصيرورته

ويحدد رسل اتجاهه الفلسفي عند ما يتخذ من القضية وحدة فكرية تخضع للتحليل ، فلكل واقعة من قضية تعبر عنها ، والواقعة بحد ذاتها موضوعية ومستقلة عن الفكر ،

1) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-Philosophicus : 4. 003
2) Russell. B., My Philosophical Development P: 112
3) Russell. B., Our Knowledge of The external World. « 1904 »
4) Ibid., P: 46

وان القضية تعبر عن معنى أو فكرة ويمكن أن تكون صادقة أو كاذبة ويعرف رسل بناء على هذا التحليل القضية بأنها شكل من كلمات يتميز بكونه صادقاً أو كاذباً (١) والمقصود هنا بالواقعة التي تعبر عنها القضية الذرية هي الواقعة الذرية « Atomic fact » وتختلف القضية الذرية عن القضية الجزيئية بأن الأولى بسيطة لايمكن تجزئتها الى اجزاء هي قضايا ، بينما تكون القضية الجزيئية مركبة يمكن تجزئتها الى قضايا أبسط منها

لقد استفاد رسل من الاتجاه التجريبي والمنطقي الذي بدأ بالظهور، ففي الوقت الذي ثار فيه رسل على نظرية برادلي الاحادية Monism ، نجده واقعاً تحت تأثير الفلسفة الواقعية التي تبناها جورج مور وماينونج وفريجه (٢) وعلى اساس هذه الصورة التي رسمناها للفلسفة التي اثرت على الاتجاه الفلسفي عند رسل يجدر بنا زيادة في الايضاح النظر اليها من نواحيها السلبية والايجابية ، فالنظرة النقدية التحليلية التي سادت انكلترا قبل ظهور الذرية المنطقية والتي تمثلت في دحض المثالية المتمثلة في فلسفة هيجل وبرادلي ، ودحض تجريبية مل وبيركلي ، انما تمثل الجانب السلبي اما الناحية الايجابية فتظهر في الدراسات التي قدمها جوتلوب فريجه (٣) في تمييزه بين القضايا المنطقية والتجريبية ، فكان رسل في اتجاهه الفلسفي يأخذ بهذا المبدأ الذي اعتبر في فلسفة الوضعية المنطقية اساساً مهماً ، كما اخذ بالدراسات التحليلية لجورج مور وفتجنشتاين

اما الطريقة التي يتبناها رسل في فلسفة الذرية المنطقية فتختلف عن الطرق المعروفة في الفلسفة المثالية ففي الوقت الذي تنظر فيه المثالية الى الحقيقة باعتبارها كلاً غير مجزء وان تجزئته افساد لهذه الحقيقة المطلقة ، لان التجزئة من شأنها ان تفسد العلاقات الداخلية التي تربط الاجزاء ، فلا تبقى الا اشياء منعزلة الواحدة عن الاخرى ، نجد الطريقة الجديدة عند رسل وهي التحليل المنطقي تؤكد الواقعية المتكثرة في العالم الخارجي وان مهمة

1) Lbid., P · 62

(٢) ناقش رسل نظرية فريجه وماينونج في مقالته المشهورة « on Denoting » المنشورة سنة ١٩٠٥ ، والتي كانت اساساً لنظريته في العبارات الوصفية .

3) Frege , G , Die Grund lagen der Arithmetik ,

التحليل هي دراسة هذه الاشياء المتكثرة وصلتها باللغة ولنا هنا ان نذكر حقيقة هامة هي ان هذه الطريقة ليست منهجاً في تحليل الاشياء المادية ، بل هي ذلك المنهج الذي يهم باللغة وعلاقتها بالفكر والعالم الخارجي وعلى هذا الاساس ينصب التحليل على اللغة واشكال قضاياها وما تشير اليه من معان ودلالات

ويساعدنا التحليل المنطقي على توضيح الغامض من الاشياء ، لان جميع فعاليات التحليل تنصب على ما هو غامض ومعقد ، وذلك لكشف سر الغموض وسبب التعقيد ، فمن المعروف ان الرموز البسيطة واضحة بعيدة عن التعقيد ، فلا بد والحال هذه من تحليل المعقد الى بسائطه ، لاننا لابد ان نسير بالتحليل الى البسيط ومعاني الرموز التي تعتمد على المعرفة المباشرة بالاشياء ويميز رسل بين التحليل والتعريف ، ففي رأيه ان التحليل لايعني التعريف ، لانه بالامكان تعريف حد بالوصف ، ولكن ذلك لا يمثل تحليلاً (١)

ولكننا اذا سلمنا بصحة المقدمة الاولى وهي ان فعالية التحليل تنصب على المعقد وتحليله الى بسائطه ، فان التعريف يصبح جزءاً من التحليل ، لانه عملية ازالة الغموض وتوضيح معناه بدقة ، وهذه فعالية تدخل في نطاق التحليل ولكن الذي يظهر من قول رسل المتقدم هو ان وصف الشيء تفصيلاً لا يمكن اعتباره عملية تحليل ، ويتفق هذا مع فلسفة التحليل ، لان العملية ليست فعالية وصفية ، بل هي تجزئة للمعقدات الى البسائط ومعرفة معانيها بدقة وهل يدخل التعريف في فلسفة التحليل ، وقد اتخذه رسل بالفعل في فلسفة الذرية المنطقية اساساً لتحديد معاني المفردات والقضايا

واذا كانت المعرفة العلمية برهانية او تجريبية ، فان تحليل المعرفة واجب للتأكد من سلامة المقدمات التي نستخدمها في العلم او الحياة اليومية ففي المعرفة البرهانية او المنطقية يظهر التحليل وشروطه بشكل واضح ، يجب اختيار مقدمات تتميز بالوضوح والدقة والكفاءة والسعة ، لكي نستطيع ان نشتق منها قضايا جديدة ، تكون جميعها نظام العلم البرهاني . اما المعرفة التجريبية فانها تختلف عن المعرفة المنطقية ، لان الاولى اقل دقة في نتائجها من المعرفة المنطقية ، كما انها تعتمد على الشخص الذي يوصل الى هذه المعرفة

1) Russell , B , Logic and knowledge p 196

بتجربته الخاصة وبناء على ذلك تختلف مقدمات نظرية المعرفة في حقل التجربة والخبرة من شخص لآخر ، ويصبح التحليل هنا ضرورياً لمعرفة المقدمات التي تصلح اساساً للمعرفة

يحلل رسل المعرفة فيبدأ بالاشياء غير القابلة للرفض « Undeniable » ويقصد بها ذلك النوع من الاشياء التي لا يمكن للانسان رفضها ، ولا يقرن رسل هذه المعرفة بالحقيقة ولكن في اعتقاده ان الاشياء التي نتخذها مقدمات في اي حقل من حقول التحليل هي الاشياء التي تظهر لنا انها غير قابلة للرفض [1] ويلتفت رسل بعد اقراره هذه الحقيقة الى الطريقة التي اتبعها واقترحها ديكارت في ان يأخذ الانسان بالاشياء التى تبدو واضحة وغير قابلة للشك ، مبيناً توافق الطريقتين في هذا الباب وبذلك يصبح الواجب الملقى على عاتق رسل في التحليل في ان يبدأ دائماً بالاشياء الواضحة ويقيم الحجج غير القابلة للدحض ،ولا يكون ذلك الا ان يبدأ بالبسائط الواضحة ليرتقي بعدها الى الاشياء الاكثر تعقيداً والتى يكون للتحليل فيها الدور الرئيس

ان مذهب التحليل الذي يطرحه رسل لمعالجة المشكلات الفلسفية يرتبط ارتباطـــاً وثيقاً بعقليته الرياضية القائمة على تحليل المشكلة وبيان السبب المباشر في تعقيدها وكما تبدأ الرياضيات من مفاهيم اولية يحتاج بعضها الى تعريف ، بينما يبقى البعض الآخر من دون تعريف ، لانه يؤلف ما يسمى باللامعرفات unde finables ، نجـــد ان رسل في اتجاهه الفلسفي يحاول تلمس طريق مشابه تظهر فيه فعالية التحليل في اختيار البديهيات [لا نقصد هنا بالبديهيات ما هو معروف في الرياضيات] التي تصلح اساساً وبداية لدراسة نظرية واختيار المفاهيم التي يستخدمها في التحليل ، وتوضيح هـذه المفاهيم أو تعريفها لنكون على بينة من معانيها دون ان يصيبها اللبس والابهام ومن الحقائق او البديهيات المهمة التي يضعها رسل نصب عينيه في معالجة نظرية المعرفة ، والتي يسلم بها العقل دونما حاجة الى اجراءآت معقدة للتحقق من صدقها او البرهان على صلاحيتها ، لانها واضحة لـكل من له بصيرة ، هى ان العالم مؤلف من وقائع [2] ولاجل توضيح هذا المبدأ يجدر بنا طرح مناقشة منطقية معروفة هي ان اللغة تتألف من اونيات هي الاصوات في حالة الـكلام،

1) Ibid., p: 181

2) Lbid., p: 182

ومن حروف في حالة الكتابة ثم من كلمات وجمل وقضايا والقضايا تتميز بشيء مهم هي انها تقوم بتقديم أخبار ومعلومات تحتمل التصديق او التكذيب، والقضية رمز أو مجموعة رموز محدودة تحتمل الصدق او الكذب ، وتكون القضية صادقة اذا كان ما تخبر عنه مطابقاً للحقيقة ، وتكون كاذبة اذا كان ما تخبر عنه لا يطابق الحقيقة وهذا معناه اننا ننظر الى القضية من ناحيتين : ـ

(١) من الناحية اللغوية باعتبارها مؤلفة من رموز ترتبط بارتباطات لغوية او منطقية.

(٢) من الناحية الدلالية باعتبار ان القضية تشير الى شيء غير لغوي خارج عن نطاق اللغة

والقضية اضافة الى ذلك تعبر عن معنى ، فاذا تطابقت القضية مع الواقع كانت صادقة ، واذا لم تطابق كانت كاذبة فالعالم الخارجي بناءً على التحليل المتقدم يتألف من وقائع يعبر عنها بقضايا والواقعة في مفهوم رسل هي ذلك النوع من الشيء الذي يجعل القضية صادقة او كاذبة [1] ولا نقصد بالواقعة اذن ما تشير اليه كلمة او اسم فقط ، فالاسم « افلاطون » مثلاً لا يمثل واقعة ، وذلك لاختلافها عن المفرد من الاشياء ، كما ان هذا الاسم لا يشير الى واقعة ، لانه ليس قضية فالواقعة اذن هي ما تشير اليه القضية ولتوضيح هذه الحقيقة المنطقية يجدر بنا ذكر بعض الامثلة من علوم مختلفة : ـ

ا ـ الشمس ساطعة

ب ـ ٢ + ٢ = ٤

حـ ـ الذرة تتألف من الكترونات وبروتونات

ء ـ تدور الارض حول الشمس

تكون كل قضية من القضايا المذكورة صادقة اذا كانت مطابقة للواقعة التي تشير اليها، وكاذبة اذا كانت خلاف ذلك والواقعة في كل قضية من هذه القضايا تختلف الواحدة عن الاخرى ، لان الواقعة في القضية الاولى يومية ، وفي الثانية رياضية ، وفي الثالثة فيزياوية ،

(1 Ibid , p 182

وفي الرابعة فلكية وهذا يدل دلالة واضحة ان العالم يتألف من وقائع مختلفة ، وان لغات العلوم تتكلم او تعبر عنها هذه الوقائع سلباً او ايجاباً

ان البديهية الاولى التي وضعها رسل فى نظرية المعرفة الذرية هى كما يبدو ناتجة من تأثير فتجنشتاين عند ما كان طالباً وزميلا لرسل ، لا سيما ان الاول سلم مخطوطات للثانى عالج فيها الكثير من مشكلات نظرية المعرفة واللغة والفلسفة ، وقد ظهرت هذه البديهية بشكل واضح في كتاب فتجنشتاين الشهير بالنص الآتي : « ان العالم هو المجموع الكلي للوقائع وليس للاشياء » (١) ، « لان المجموع الكلي للوقائع يعين ما هو موجود فعلاً ، وكذلك كل ما هو غير موجود » (٢) ففي المبدأ الاول الذي يقرره فتجنشتاين يتضح ان الواقعة« Tatsache » عنده تختلف عن الشيء ، وان العالم لا يتألف من اشياء ، بل من وقائع ، لأنه لا يوجد شيء منفصل ، فللأشياء صفات وعلاقات فيما بينها والواقعة تتعين بالشيء الذي له صفة أو بالشيء وعلاقته بشيء آخر ويعبر عن هذه الوقائع بعبارات لغوية أو قضايا وتختلف الوقائع كذلك اضافة الى اختلافها بالنسبة للعلوم ، من حيث تركيبها ، فلدينا وقائع فردية « Particular facts » ووقائع عامة « General facts » ، كما توجد وقائع موجبة وأخرى سالبة فاذا قلنا « هذا كتاب » و « كل انسان فان » فاننا نضع أمامنا واقعتين : الأولى فردية والثانية عامة ، واذا قلنا « افلاطون يوناني » و « افلاطون ليس يونانياً » فاننا نريد بالقضية الاولى واقعة موجبة وبالثانية واقعة سالبة . وبالرغم من اعتقاد رسل بوجود وقائع سالبة ، الا ان المسألة بحد ذاتها معقدة وغامضة ولنا هنا وقفة قصيرة ان القضية « افلاطون يوناني » موجبة وتشير الىواقعة موجودة فعلاً ، والقضية « افلاطون روماني » موجبة ولكنها لا تشير الى واقعة موجودة بالفعل ، لاننا اذا فتشنا بين جميع الوقائع ، فاننا لن نجد واقعة واحدة ينطبق عليها حكم القضية المذكورة . اما فالنسبة للقضايا التي تحتوي على نفي مثال ذلك « افلاطون ليس يونانياً » و « افلاطون ليس رومانياً » ، فاننا نعرف مثلاً ان « افلاطون يوناني » وان غير ذلك يؤدي الى كذب القضية فاذا اعتبرنا ما تعنيه العبارة « ليس يونانياً » جميع الصفات الاخرى مثل آسيوي وافريقي وفرنسي وروماني وهكذا ، فاننا عندئذ نحصل علىقضية موجبة لايوجد لها واقعة

1) Wittgenstein. L., Tractatus Logico-Philosophicus 1.1-

2) Ibid., 1. 12-

تنطبق عليها القضية ، فهي قضية كاذبة أما القضية الاخرى « افلاطون ليس رومانياً » فهي بالنسبة للمنطق قضية صادقـــة ، لأنها تنفي صفة غير موجودة فعلاً في الموضوع ولـكن المشكلة تبقى معلقة لحد كبير وهي اذا اعتبرنا العبارة « ليس رومانياً » تعني جميع الصفات عدا روماني ، فاننا لا نحصل دائماً على قضية صادقة ، لان القضية يمكن أن تـكون « افلاطون آسيوي » ، وهي قضية كاذبة من هذا التحليل يظهر لنا ان التناقض يمكن أن يظهر نتيجة عدم التحديد ، والغموض الذي يشوب هذه المسألة والآن دعنـا نطرح حلاً آخر للمسألة ، وذلك على أساس اعتبـار النفي ينصب على القضية جميعها وليس على المحمول فقط ، كما هو معمول في المنطق وبناء على ذلك تـكون لدينا الاحتمالات الآتية : —

١ — اذا كانت القضية A صادقة فان القضية [ليس A] كاذبة

٢ — اذا كانت القضية A كاذبة فان القضية [ليس A] صادقة.

بناء على هذه الاحتمالات ، فان القضية الصادقة تعبر عن واقعة تطابقها ، اما في حالة ان تـكون القضية المنفية صادقة ، مثال ذلك ليس (سقراط رومانياً) ، فان الحل لها يـكون أما بوضع قضية موجبة صادقة معادلة لها مثل (سقراط يوناني) وعندئذ تعبر عن واقعة مطابقة لها ، أو أن نعتبر القضية المنفيـــة بطريقة شبيهة بالقضايا الجزيئية التي تحتوي على روابط منطقية ، وعندئذٍ لا نسأل عن الواقعة للقضية بأجمعها ، بل عن القضية دون النفي ، فاذا كانت صادقة ، اصبحت منطقياً بفعل النفي كاذبة ، واذا كانت كاذبة ، اصبحت تبعاً لوظيفة النفي المنطقية صادقة وعلى هذا الاساس نتخلص من المشكلة وتصبح جميع الوقائع في العالم موجبة فقط [١]

ويتضح اضافة الى هذا التحليل ان التمييز ضروري بين القضية سواء كانت سالبة أم موجبة وبين الواقعة ، لاسيما وان الرموز المنطقية مثل الروابط لايوجد ما يوازيها في العالم الخارجي ، وان النفي رمز ينتمي الى عالم اللغة دون عالم الواقع ، فالقضية تـكون موجبة أو سالبة ، بينما لاتـكون مثل هـذه الصفة المزدوجة موجودة في الواقعـة فالقضايا عامة تنتمي الى العالم اللغوي ، بينما الوقائع تنتمي الى العالم الموضوعي ، ولهذا التمييز أهمية كبيرة ،

(١) ان الحلول التي اقترحناها المشكلة لاتعتبر جزءاً من فلسفة رسل الذرية ، ولـكننا وضعناها هنا لسبب مهم هو اعتقادنا بعدم قدرة فلسفة رســل الخروج بحل المشكلة ، ما دامت ترى بأن هناك وقائع منفية تنتمي للعالم الخارجي

لأن القضية تحتمل الصدق أو الكذب ، بينما لانستطيع القول ان الواقعة صادقة أوكاذبة[١] ، فالصدق والكذب صفتان تختص بالقضايا فقط ولا بد ان نشير هنا الى اختلاف بين رسل وفتجنشتاين ، وهذا الاختلاف ناتج عن نظرهما الى ما ينتمي الى العالم ، فنجد فتجنشتاين في النص الذي يقول فيه ان العالم يتألف من وقائع وليس من اشياء يختلف عن رسل الذي يرى ان العالم لايمكن ان يوصف كلياً بالمفردات ، بل يجب ان نأخذ بنظر الاعتبار الوقائع التي يعبر عنها بقضايا ، وهذه الوقائع هي جزء من العالم الواقعي تماماً مثل المفردات كالكراسي والمناضد التي تنتمي اليه [٢]

والاختلاف بين الواقعة والشيء يمكن ان يظهر بشكل واضح اذا نظرنا اليها من خلال اللغة ما دام التحليل يهتم بالقضايا والعبارات فالواقعة يعبر عنها بقضية تحتمل الصدق أو الكذب ، بينما يعبر عن الشيء باسم ولكي لايكون في الامر لبس لابد من الاشارة هنا الى ان لكل واقعة قضيتين موجبة وسالبة ، بينما لايتصف الاسم بهذه الصفة ، فلا يمكن القول ان القضية اسم أو بالعكس لقد ذكر فتجنشتاين هذا التمييز في مقالة [٣] رداً على ما اكده جوتلوب فريجة من ان القضية اسم [٤] فاستفاد رسل من فتجنشتاين لتقرير هذه الحقيقة المنطقية المهمة ، وهو الذي يعترف بأن الجزء الأكبر في محاضراته يحتوي على افكار استقاها من صديقه فتجنشتاين [٥]

ان مهمة التحليل استناداً الى الفعاليات الفلسفية التي ذكرناها تستهدف معرفة مكونات الاشياء المعقدة سواء كانت هذه الاشياء لغوية أم واقعية وفلسفة الذرية المنطقية كما ذكرنا سابقاً تهتم اولا بمعرفة الذرات التي تتألف منها التراكيب المنطقية ، والذرات في هذا السياق من التحليل تعني الوحدات الاولية غير القابلة للتجزئة الى ذرات اخرى اصغر منها لها نفس الطبيعة فالتحليل يبدأ اذن بتحليل المركبات او الاشياء المعقدة

1) Russell, B., Logic and Knowledge P : 184

2 Ibid., P : 183

3) Wittgenstein, L., Notes on Logic (The Journal Philosophy Vol. IIV, No. 9. 1957) P. 232

(٤) لم يميز فريجه في مقالته حول المعنى والدلالة « Über Sinn und Bedeutung » بين الاسم والقضية ، بل اعتبر الاسم كلمة او رمزاً او عبارة او قضية ، واكتفى بتعريف الاسم بانه رمز يعبر عن شيء في القضية قيمة الصدق Wahrheitswert

5) Russell, B., Logic and Knowledge P. 205

مستهدفاً من وراء ذلك كشف مكوناتها ومعرفة علاقاتها واشكالها والتحليل الذي يعتمد التجزئة لا يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية فمن المعروف في علم اللغة مثلا ان التحليل المنطقي المطبق فيه يبدأ بالمركبات اولا ، والمركبات هنا العبارات اللغوية التي تتألف بدورها من عبارات او جمل وقضايا ، فبالتحليل نتعرف على اشكال الجمل والقضايا ، واذا كانت هذه مركبة ، فان التحليل يقودنا الى معرفة القضايا البسيطة وهذه القضايا البسيطة تتحلل بدورها الى كلمات واسماء وادوات ، وهذه تتحلل بدورها الى مقاطع واصوات هذا هو ما يحدث بالنسبة لتحليل اللغة في علم اللغة ، فماذا يحدث بالنسبة لنظرية المعرفة والمنطق في فلسفة الذرية المنطقية ؟ فاذا كانت مهمة التحليل اكتشاف اوليات الاشياء ، فما انواع الاشياء التي تعتبر اوليات المركبات ؟

وللاجابة عن هذا السؤال نحتاج اولا التعرف على المركبات ، لانها اول الطريق في التحليل ، فبالنسبة لرسل ان جميع الاشياء التي ندركها في العالم الخارجي وكل ما يطلق عليها باسماء اعلام هي وحدات معقدة ، فالشجرة والمنضدة والكرسي وغيرها اشياء ليست بسيطة كما تظهر لاول وهلة ، فاذا اردنا ان نعرف او نحدد الشجرة ، وجب علينا وصف كامل لها ، ولا يتم هذا الوصف الا باستعمال القضايا التي تكون الشجرة موضوعاً فيها وصفاتها المختلفة محمولات ، واذا جمعنا هذه القضايا معاً ونظرنا من خلالها الى الموضوع وما يحمل عليه من صفات كثيرة ، فاننا ندرك ان جميعها تؤلف وحدة واحدة ، وهذه الوحدة المعقدة هي الشجرة ، اما الصفات فانها وحدات بسيطة تدخل في هذه الفئة المعقدة وعلى هذا الاساس تصبح هذه الصفات هي الشجرة وتكون الشجرة سلسلة من فئات ذات وحدات مادية فالاشياء والوقائع في العالم الخارجي معقدات ، وان الواقعة التي تعبر عنها القضية « سقراط فان » معقدة كذلك ، لانها تتحلل الى « سقراط » و « فان » وان هذه التجزئة تفرض نفسها من خلال ملاحظاتنا للغة ، فاننا نجد قضايا لها شكل القضية الآنفة الذكر ولكنها رغم اشتراكها في الشكل تختلف من حيث المعنى ، اذ بالامكان الاستعاضة عن سقراط باي اسم آخر مع بقاء المحمول ثابتاً ، فنحصل نتيجة لذلك على قضايا يتغير فيها الموضوع كما يمكننا تغيير المحمول وابقاء الموضوع ثابتاً ، فنحصل نتيجة لذلك على قضايا يتغير فيها المحمول ان هذه العملية تبين لنا ان القضية « سقراط فان » وغيرها التي

لها الشكل نفسه تتحلل الى اجزاء محدودة ، وهذه الاجزاء هي الوحدات التي تتكون منها القضية

ان الذي يزيد من تعقيد الاشياء في العالم الخارجي هو ان الاشياء ليست منفصلة ، بحيث يمكن عزل الواحد منها وتحليلها دون ان تدخل في عملية التحليل ظواهر اخرى . فالاشياء ترتبط بعلاقات مختلفة وتحمل عليها صفات كثيرة ، واننا اذا اردنا ان نتحدث عن شيء ، نجد انفسنا مضطرين بدراسة علاقاته وصفاته وارتباطاته ويصدق التحليل نفسه على الواقعة ، فاذا اردنا وصفها وصفاً تاماً من جميع جوانبها ، فاننا نضع سلسلة من قضايا بسيطة فيها موضوع تتغير صفاته ومحمولاته ، وهذه القضايا جميعها تقدم لنا الوصف التام للواقعة

من هذا التحليل يظهر لنا بوضوح ان الاشياء وصفاتها وعلاقاتها هى المكونات الاولية للواقعة ، وان الواقعة قابلة للتحليل الى اجزائها كما تتحلل القضية الى كلمات

ان تحليل الوقائع والاشياء ابتداءً من العالم الخارجي يزيد المسألة تعقيداً ، لما لهذه الوقائع والاشياء من روابط وعلاقات ، واننا نجد في تاريخ الفلسفة امثلة كثيرة تبين لنا ان الفلسفات المثالية ظهرت نتيجة لاهتمام الفلاسفة بالمعقدات من الاشياء ، فنجدهم ينظرون اليها بروابطها وعلاقاتها ، وهم في سيرهم هذا لا يتوقفون الا عند بلوغهم النتيجة الحتمية لنظرتهم الى الاشياء وعلاقاتها الداخلية ، وهى ان العالم وحدة كلية او حقيقة لا يمكن تجزئتها ، لان فى التجزئة افساداً للعلاقات الداخلية والحقيقة وهذا هو موقف برادلي (١) وللتخلص من كثير من المشكلات الناتجة عن النظر في المعقدات الموجودة في العالم الخارجي يتخذ رسل اسلوباً آخر يقوم على تحليل اللغة والنظر الى العالم من خلالها ، لان فى هذا الاسلوب ما يبعدنا عن النظرة الكلية للاشياء ، كما يمكننا تحليل اللغة وربطها بمدلولاتها ولما كانت القضايا مهمة في عكس صور العالم الخارجي ، فان علينا اذن مهمة التعرف عليها بدقة مستعينين بنظرية فريجه (٢) ، وهى النظرية التي تأثر بها رسل وفتجنشتاين فى فلسفة الذرية المنطقية القضية بالنسبة لفريجه هى : ـ

---

1) The Revolution in philosophy p 12 - 25 انظر

2) Frege , G . Funktion , Begriff , Bedeutung -über Sinn und Bedeutung p : 38 63

١ ـ رمز او مجموعة من رموز [مجموعة كلمات]

٢ ـ تعبر عن معنى

٣ ـ لها دلالة تشير اليها في العالم الخارجي

ان القضايا هى اول المعقدات فى مستوى اللغة ، وتتألف من رموز هى مكوناتها الاساسية ، وتتميز بانها تعبر عن معنى ، والمرء يفهم القضية دونما حاجة الى معرفة فيما اذا كانت صادقة او كاذبة ، وان عملية الفهم هذه لا تعتمد على تكرار استعمالها ، بل ان الفهم يتم دون ان يكون للمرء معرفة سابقة بالقضية ، فيكفي بالنسبة للسامع ان يعرف معاني الرموز او الكلمات التي تتألف منها مضافاً الى معرفة بالقواعد اللغوية ، ومن الكلمات وعلاقاتها تظهر وحدة المعنى

واذا حللنا القضية ، فاننا نحصل دون شك على رموز اقل تعقيداً من القضية الاولى موضوعة البحث ، فهي رمز يتألف من رموز بسيطة ، وتختلف طبيعة هذه الرموز باختلاف دورها ووظيفتها ، فنجد بينها الموضوع والمحمول والرابطة او العلاقة والتحليل للقضية لا يصل الا الى رموز معينة ، بحيث ان تجزئتها غير ممكنة فالكلمة والرابطة والاسم رموز بسيطة ، والرمز البسيط بالنسبة لرسل هو رمز ليس له اجزاء هى بدورها رموز [١] ويربط رسل الرموز البسيطة واللغة بالعالم ، فالرمز البسيط يرمز الى اشياء بسيطة ، والرمز المعقد يرمز الى اشياء معقدة ، وان تحليل الرمز الى بسائطه هو تحليل للواقعة الى مكوناتها التي تتكون منها وهذا يدل على ان بين القضية البسيطة والواقعة علاقة واحد بواحد تشير الى ذلك مكونات القضية والواقعة ان هذه النظرة الذرية في فلسفة رسل متأتية من اثر المنطق والرياضيات ، فمن المعروف في المنطق ان الرموز البسيطة لها معان بسيطة ، وان المعقدة منها لها معان معقدة ، وان للرمز الواحد فكرة واحدة فقط ، ولا يمكن ان يكون للرمز اكثر من معنى ، لان فى ذلك تمهيداً لحدوث التناقضات وهذه الشروط لابد من توفرها في كل نظام منطقي ، ولقد كانت حجر الزاوية في فلسفة الرياضيات التعميمية « Mathesis Universalis » عند ليبنتز [٢]

ولا بد لنا هنا من التمييز بين لغة التداول ولغة المنطق والرياضيات ان القضايا في

1) Russel. B., Logic and Knowledge p 194

(١) انظر مقال «نظرية جوتلوب فريجه المنطقية» في مجلة كلية الآداب ــ العدد التاسع سنة ١٩٦٦ ص

لغة التداول تتألف من كلمات ، ولهـــذه الـكلمات معان كثيرة مختلفة تتغير تبعاً لمؤثرات نفسية واجتماعية لأن المعنى هنـا يعتمد على المتكلم والوضعية الاجتماعية ، وانه يمـكن أن يتغير في وضعية اجتماعية اخرى أوعند استعمال الـكلمة ذاتها من قبل شخص آخر وهذا ما يجعل هذه اللغة غير قادرة على التعبير الدقيق ، ولـكن لهذه اللغة مزايا اخرى مهمة هي انها مرنة وغزيرة وتصلح اداة ووسيلة للتفاهم ونقل الافكار اما لغة المنطق والرياضيات فانها لغة دقيقة تعبر كل قضية فيها على شيء أو واقعة معينة ، واننا عند ما نحلل القضية الى اجزائها ، فاننا في الوقت نفسه نحلل الواقعة كذلك ، لان بين مـكونات القضية والواقعة علاقة واحد بواحـــد وبناء على ما تقدم نتوصل في فلسفة الذرية المنطقية الى الحقائق الآتية : —

١ — ان مكونات القضايا هي رموز يجب علينا فهمها إذا اردنا فهم القضية كوحدة لغويـة

٢ — ان اجزاء الواقعة التي تجعل القضية صادقة او كاذبة هي معان « Meanings » للرموز التي نفهمها اذا اردنا فهم القضية [١]

٣ — ان بين اجزاء الواقعـة ومكونات القضية علاقة واحد بواحـد وان القضية في صورها اللغوية وما تدل عليه ماهي الا صورة للواقعة انهذا التطابق بين القضية والواقعة نجده بشكل واضح في فلسفة فتجنشتاين [٢] المتضمنة في Tractatus، وهذا التطابق يمثل دون شك حجر الاساس في فلسفته المنطقية ، ففي رأيه ان الصورة [ويقصد هنا القضية في صورها المنطقية أو اللغوية] نموذج للواقع [٣] ، وان الاشياء تطابق ما هو موجود في الصورة من أوليات [٤] وعلى هذا الاساس تصبح القضية صورة للواقع ، وان هذه الصورة فى مطابقتها لهذا الواقع تـكون صادقة ، وفي عدم مطابقتها تـكون كاذبة ، وان الصورة بذاتها ليست كاذبة أو صادقة ، انها تبين معناها فقط ، وان الصدق أو الـكذب

---

1) Russell, B., Logic and Knowledge P: 196

٢) غير فتجنشتاين هذه النظرية الذرية المتمثلة في المطابقة بين القضية والواقعة وفي العلاقة المتقابلة بين اجزاء القضية والواقعة فى دراساته الفلسفية المتأخرة وخاصة في كتابه بحوث فلسفية
Philosophical investigations

3) Wittgenstein, L., Tractatus Logico-Philosophicus 2. 12: P : 38

4) Ibid., 2. 13: P: 38

يعتمد على المطابقة وعدمها مع الواقع

وبعد هذا الشرح يجدر بنا ان نلتفت الى الواقعة ذاتها وما الاشياء في العالم الخارجي التي نتخذها نقطة ابتداء وتبعاً لطريقة التحليل لابد لنا ان نبحث عن ابسط الوقائع ، بحيث ان أية تجزئة لها لايمكن ان تؤدي الى وقائع أبسط منها ولما كانت اللغة خير وسيلة يتخذها فيلسوف التحليل لمعرفة ما تشير اليه ، فان رسل يبدأ بضرب امثلة هي قضايا بسيطة جداً تتألف من اسم اشـــارة ومحمول أو صفة ، فاذا قلنا « هذا ابيض » ، فاننا بذلك نستخدم قضية للتعبير عن هذه الواقعة ، والقضية تتألف من موضوع هو « هذا » ومن محمول هو « ابيض » ، وقد اختار رسل هذه الأمثلة التي تستخدم الاشارة للتـدليل على كونها قضايا بسيطة لسبب بسيط هو ان الـكلمة أو الاسم ربما يكون لها أو له معنى كلي ، وهذا المعنى الـكلي لا يمكن النظر اليه على أساس أنه بسيط ، كما ان استعماله يثير مشكلة ، فاذا قلنا « الـكرسي أبيض » فاننا نريد بذلك أي كرسي أبيض دون ان نحدده بـكرسي معين ، فتكون لهذه القضية وقائع كثيرة ، أما إذا قلنا « هذا أبيض » فاننا نشير الى شيء معين له صفة معينة ، وتـكون القضية المستعملة لها واقعة معينة كذلك فالقضية « هذا ابيض » قضية بسيطة أو ذرية وان ما تشير أو ترمز اليه في العالم الخارجي هو واقعة ذرية « Atomic fact » أو كما يسميها فتجنشتاين بالألمانية Sachverhalt وتعني الواقعة البسيطة كذلك والى جانب هذا النوع من الوقائع توجد وقائع بسيطة أخرى فيها اكثر من شيء واحد يرتبط بعلاقة ، والقضايا التي تشير الى هذه الوقائع هي قضايا بسيطة كذلك إلا أنها تحتوي على اكثر من موضوع وعلى رابطة أو علاقة وعلى هذا الأساس يـكون بامكاننا تصنيف القضايا والوقائع الذرية تبعاً لعدد الموضوعات والاشياء ولإيضاح هـذه الحقيقة نقدم الأمثلة الآتية : ـ

سقراط فان : قضية تتألف من موضوع ومحمول

احمد اكبر من محمود : قضية تتألف من موضوعين ومحمول

الـكتاب بين أحمد ومحمود : قضية تتألف من ثلاثة موضوعات ومحمول

وهكذا ....

فاذا نظرنا الآن الى المحمول على اساس انه يمثل علاقة سواء كان هذا المحمول لموضوع

واحد أو أكثر ، فاننا نحصل على الصور أو الاشكال المنطقية الآتية حسب الترتيب

Rx حيث ترمز R الى العلاقة و x الى الموضوع او الحد

x Ry أو(x,y) R_2 الى علاقة ثنائية والرموز x و y الى حدود

(x,y,z) R_3 حيث ترمز R_3 الى علاقـة ثلاثية والرموز x,y,z الى حـدود ترتبط بالعلاقة ويمكننا بالطريقة نفسها اعطاء اشكال اخرى أكثر تعقيداً تـكون العلاقة فيها رباعية أو خماسية أو سداسية وهكذا والرموز التى تتألف منها هذه الصور تشير الى اشياء مادية هي مفردات ، وهـذا معناه ان العلاقة بين الصورة للقضيـة والواقع لا تزال قائمة ، وان الحدود في الشكل المنطقي للقضية لها ما يقابلها من مفردات في العالم الخارجي وان بالامكان ترتيب هذه القضايا رغم انها قضايا ذرية جميعها على هيئة درجات أو مستويات بالنظر الى عدد حدودها

ويعرف رسل المفردات التي تشير اليها الرموز في القضية انها حدود لعلاقات الوقائع الذرية [١] وهذا التعريف يدل على مبدأ تحليلي ، فان رسل لم يعرف المفردات منفصلة عن الواقعـة الذرية ، بل جعل الواقعة الاطار الواسع الذي يضم المفردات ، وبتعبير ادق ان الواقعة الذرية تتألف من اجزاء هي المفردات وبناء على ما تقدم من تحليل يصبح اسم العلم [وهو رمز لغوي] رمز يشير الى شيء مفرد ، وتكون اسماء الاعلام كلمات لمفردات[٢] ويتفق رسل بهذا التعريف لاسماء الاعلام مع تعريف فريجـه الذى ينص على ان اسم العلم رمز يشير الى شيء معين هو دلالته [٣]

وترتبط القضايا الذرية بروابط منطقية مكونة بذلك قضايا مركبة او جزئيـــة ، والروابط المنطقية التي نعنيها هي البدل والعطف والالزام وغيرها ، ولهذه الروابط وظائف منطقية معينة يدرك الفرد اهميها عندما يجدها تربط القضايا البسيطة لتحولها الى قضايا مركبة يتوقف صدقها او كذبها على الوظائف المنطقية لهذه الروابط فالقضية المركبة او الجزيئية اذن هي قضية فيها قضايا ذرية ترتبط بروابط مثل او ، و ، اذا ... فان ... الخ

---

1) Russell. R,. Logic and Knowledge P; 199

2) Ibid., P; 200

3) Frege, G, Funktion, Begriff, Bedeutung -Über Sind und Bedeutung- P; 39

فاذا رمزنا للقضية بالرمز A والاخرى بالرمز B ، فان القضية الجزيئية تكون لها الصور المنطقيه الآتية :

A ∧ B	∧	رمز يشير الى و
A ∨ B	∨	رمز يشير الى او
B → A	→	رمز يشير الى الالزام

وتختلف القضية الجزيئية عن القضية الذرية من حيث ان صدقها او كذبها لا يعتمد مباشرة على الوقائع في العالم الخارجي ، بل يعتمد على صدق او كذب كل من القضية A والقضية B وهذا معناه ان صدق او كذب القضية الجزيئية يعتمد على الواقعتين وليس على واحدة ولتوضيح هذه الحقيقة يستعين رسل بجدول الصدق Truth- table ومايظهر فيه من احتمالات ودالات الصدق « Truth- Functions » ، فتكون القضية الجزيئية ذات الرابطة « و » صادقة في حالة صدق كل من القضيتين A و B ، وتكون كاذبة في جميع الحالات الاخرى ، وهي في حالة صدق A وكذب B ، وفي حالة كذب A وصدق B وفي حالة كذب القضيتين معاً وتكون القضية الجزيئية ذات الرابطة « او » صادقة في حالة صدق القضيتين معاً ، وفي حالة صدق A وكذب B ، وفي حالة كذب A وصدق B ، وتكون كاذبة في حالة واحـــدة هي كذب الاثنين معاً اما القضية الجزيئية ذات الرابطة « اذا ... فان ... » فانها تكون كاذبة في حالة صدق القضية الاولى A وكذب القضية الثانية اللازمة عنها B ، وتكون صادقة في جميع الحالات الاخرى وهي : في حالة صدق القضيتين او كذبهما معاً ، وفي كذب A وصدق B

ومن المعروف فى المنطق اننا نميز بين الافكار المعرفة « defined ideas » والافكار غير المعرفة « undefined ideas » ، ونستعين بالافكار غير المعرفة او اللامعرفات لتعريف الافكار المعرفة ، وبالنسبة للروابط المنطقية فاننا يمكن ارجاع بعضها الى البعض الآخر، فقد اختار رسل في كتابه الرئيس بالاشتراك مع وايتهيد[1] النفي والبدل لتعريف بقية الروابط المنطقية ، واختار جوتلوب فريجه [2] النفي والالزام لتعريف روابط منطقية ، واختـــار شيفر « Sheffer » رمزاً واحداً لتعريف جميع الروابط المنطقية وهو الرمز المعروف بخط

1) Principia Mathematica

2) Frege . G , Begriffsschrift

شيفر ، ويذكر رسل في محاضراته في فلسفة الذرية المنطقية هذه الطريقة في تعريف الروابط ويرى انها احسن من طريقته في كتاب « اصول الرياضيات » [١]

ويذكر رسل نوعاً آخر من القضايا الى جانب القضايا الجزيئية ، قضايا من نوع آخر هي اكثر تعقيداً من القضايا الذرية ، وان الذي تتميز به هذه القضايا هو انها تحتوي على اكثر من فعل واحد ، بينما تحتوي القضية الذرية على فعل واحد [٢] ومن الافعال التي يذكرها رسل مع هذه القضايا هي « يرغب ويعتقد ويريد » مثال ذلك قولنا « انا اعتقد ان هذا الشيء مسموم » ولا يقف تحليل رسل عند هذا الحد ، بل يعتقد بوجود وقائع اخرى الى جانب الوقائع الذرية ، وان مهمة المنطق هي ان يعرف اشكال هـذه الوقائع وانواعهـا المختلفة فالوقائع التي تشير اليها القضايا الذرية ذات الفعل الواحد تختلف من حيث التركيب عن الوقائع التي تشير اليها القضايا المحتوية على اكثر من فعل واحد وهذا يدل على ان رسل هنا متمسك بنظرية المطابقة بين القضية والواقعة ، فليست القضية وحدها تحتوي على فعلين مثلا ، بل ان الواقعة تحتوي على ما يقابل هذين الفعلين ، وهذا معناه وجود تطابق تام بين تركيب القضية وتركيب الواقعة

ولكن هل هذه هي جميع الوقائع ام هناك وقائع اخرى من نوع آخر ؟

يجيب رسل بالايجاب ، فهو يرى ان القضايا العامة مثل « كل انسان فان » وغيرهـا لها ما يقابلها من وقائع ، وان القضايا الجزئية ذات الشكل « بعض الناس علماء » لها هي كذلك ما يقابلها من وقائع [٣] ان رسل في تقريره وجود وقائع عامة ، انما يقوم بتطبيق نظريته المنطقية في نظرية المعرفة ، ويرى اننا لا نستطيع الوصول الى الوقائع العامة بواسطة الاستنتاج من وقائع فردية [٤] ويناقش رسل في علاقة القضايا العامة والجزئية بالوقائع مسألة الوجود « existence » ، ويرى ان كثيراً من المشكلات الفلسفيه ناتجة عن عدم تحديد هذا المفهوم ، ويربط رسل هذا المفهوم بالقضية ذات الثابت المنطقي « يوجـد واحد على الاقل » ، وهذا معناه ان رسل ينتقل بالتحليل من القضايا الى دالات القضايا ،

---

1) Russell, B , Logic and Knowledge p :20)
2) Ibid ., p: 203
3) Ibid ., p : 235
4) Ibid p : 229

ودالة القضية هى صيغة منطقية فيها متغير واحد على الاقل ، او كما يعرفها رسل بأنها اي تعبير يحتوي على جزء غير معين او عدة اجزاء غير معينة ، يصبح قضية حالما تتعين هذه الاجزاء غير المعينة (١) ودالات القضايا هذه يمكن ان تكون الواحدة منها صادقة دائماً او صادقة في بعض الاحيان او كاذبة دائماً. فاذا اخذنا الدالة الآتية « اذا ا عراقي فان ا اسيوي » فاننا امام دالة صادقة دائماً ، اما الدالة « ا انسان » فانها صادقة فى بعض الاحيان ، بينما تكون دالة القضية « ا تنين » كاذبة ومن الجدير بالذكر هنا ان صدق او كذب الدالة يتوقف على القيم التى نضعها مكان المتغيرات فتتحول الدالة الى قضية تحتمل الصدق او الكذب

وتبعاً للتحليل المتقدم تصبح دالة القضية التي توصف بالصدق الدائم « ضرورية » ، بينما تلك التى توصف انها صادقة في بعض الاحيان « احتمالية » والاخيرة « مستحيلة » وهذه الصفات هى افكار اساسية كما نعلم في منطق الجهات « Modal Logic » ، وهذه صفات لا تخص القضايا ، بل دالات القضايا ويرى رسل ان التناقضات تظهر عند ما تحمل بعض الصفات على قضايا بينما هى تتعلق بدالات القضايا او بالفئات

ونعود الآن الى مسألة الوجود ، فان رسل يرى انه اذا اخذنا اية دالة قضية وكانت احتمالية عند اعطاء قيم لمتغيراتها ، فان ذلك يعطينا المعنى الاساس للوجود (٢) . ففي دالة القضية الآتية : ـ

ا انسان

انه توجد قيمة واحد على الاقل للمتغير ا تجعل دالة القضية صادقة

وهذا يدل على ان الوجود صفة لا تختلف عن الضرورية والاحتمالية والاستحالة من حيث ارتباطها بدالة القضية اما بالنسبة للقضايا العامة فان رسل يرى عدم احتوائها على الوجود. وكما يدخل النفي في القضايا الذرية ويناقشه رسل تبعاً لنظريته في المطابقة بين القضية والواقعة ، منتهياً الى القول باحتمال وجود وقائع منفية ، نجده يلتفت الى عامل النفي في القضايا العامة ، فمن المعروف في المنطق ان نفي القضية العامة يؤدي الى اثبات قضية جزئية سالبة ، فاذا كانت القضية العامة « كل عربي اسيوي » منفية ، فان القضية الجزئية السالبة تكون مثبتة « بعض العرب ليسوا اسيويين » واذا كانت القضية العامة مثبتة مثال ذلك

1) Ibid , p :230

2) Ibid , p : 232

« كل انسان فان » فاننا في الوقت نفسه ننفي وجود انسان غير فان او خالد ومن هذه الزاوية يمكننا النظر الى القضايا العامة على اساس انها تنفي وجود شيء او آخر

ويضيف رسل الى قائمة نظريته في الوجود تحليلا آخر ، فاذا كنا لحد الآن نحلل قضايا تؤكد وجود بعض الاشياء مثال ذلك « يوجد عرب » ، فان رسل يضيف عبارات اخرى هي ليست قضايا وليست اسماءً ، بل هي عبارات وصفية تؤكد وجود شيء واحد مفرد مثال قولنا « رئيس الجمهورية العربية المتحدة » ويمكن النظر الى العبارات الوصفية على اساس انها تدخل كأجزاء في قضايا ، ولا يمكن ان نقول عنها فيما اذا كانت صادقة او كاذبة فهي على هذا الاساس لا تستقيم لوحدها وتبقى ناقصة الا في حالة دخولها كجزء من قضية، وهذه ميزة اساسية للرموز الناقصة « Incomplete Symbols » [1]

ناقش رسل هذه العبارات لاول مرة في مقالته المشهورة On Denoting عام ١٩٠٥[2] واصبحت بعد ذلك من انجازات رسل المنطقية المهمة ولكننا من الوجهة التاريخية نجد هذه الدراسة عند جوتلوب فريجه في مقالته المعروفة « حول المعنى والدلالة » المنشورة عام ١٨٨٢ ، وبالطبع توجد اختلافات بين النظريتين ، كما استفاد رسل من ما ينونج في دراسته للعبارات الوصفية

ويميز رسل بين العبارات الوصفية فيقسمها الى نوعين : عبارات وصفية غامضة وعبارات وصفية محدودة ، ويركز دراسته على النوع الثاني مستخدماً كلمة العبارة الوصفية لهذا النوع فقط ويميز رسل في نظريته بين الاسم والعبارة الوصفية ، بينما نجد فريجه ينظر الى الاسم على اساس انه اي رمز يشير الى شيء معين ، وهذا معناه ان العبارات الوصفية والقضايا عنده اسماء ولتوضيح الفرق بين الاسم والعبارة الوصفية يجدر بنا ان ننظر اليها من ناحية الدلالة والناحية اللغوية ، فالاسم يطلق على شيء او انه يشير الى شيء معين مثل « سقراط » ، اما العبارة الوصفية فليس ضرورياً ان تكون وصفاً لفرد ، بل يمكن ان تكون وصفاً لمحمول او علاقة او اي شيء آخر فالعبارة الوصفية « مؤلف وافرلي » وصف محدود ، وهي ليست اسماً ، لان الاسم يشير الى شيء واحد ليس صفة والعبارة

---

1) Ibid , p : 245
2) Russill , B , , My philosophical Development p 48

الوصفية ليس اسماً لانها رمز معقد ، بينما الاسم رمز بسيط ولقد اظهر رسل براعة في بيان الاختلاف بين الاسم والعبارة الوصفية في حدود الذاتية ، فمن المعروف في المنطق ان للذاتية صيغتان هما :

(١) عنـد ما يكون الشيء هو هو مثال ذلك ا = ا وبتعبير آخر : سقراط هو سقراط او سكوت هو سكوت

(٢) عنـدما يكون الشيء مساوياً لشيء آخر مثال ذلك ا = ب وبتعبير آخر : سقراط هو استاذ افلاطون ، او سكوت هو مؤلف وافرلي

لقد تطرق لهذه الذاتية جوتلوب فريجه في بداية بحثه « حول المعنى الدلالة » وانهى الى نتيجة لا يتفق معها رسل هي ان الذاتية في الحالتين هي بين رموز لاشياء [١] والسبب في وصوله الى هـذه النتيجة هو اعتبار العبارة الوصفية اسم اما بالنسبة لرسل فهناك اختلاف بين الصيغة الاولى للذاتية والصيغة الثانية فالقضية سقراط هو سقراط متعادلة Tautology ، لانها صادقة دائما وان صدقها لا يعتمد على معرفتنا عما تخبر عنه ، بينما القضية الثانية وهي سكوت هو مؤلف وافرلي ، فاننا نحتاج لاثبات صدقها الى معرفة خاصة للتعريف فيما اذا كان حقاً ان سكوت هو مؤلف وافرلي ، وذلك لان العلاقة بين سكوت ومؤلف وافرلي هي بين اسم وعبارة وصفية وليست بين اسمين كما في الحالة السابقة

ويحلل رسل العبارة الوصفية مطبقاً نظريته في التحليل المنطقي ، فالعبارة مؤلف وافرلي لا يمكن تجزئتها الى اجزاء او عبارات صغيرة منفصلة كما نفعل بالنسبة للقضية ، وذلك لأن هذه العبارة معقدة وتحتاج الى تحليل دقيق ، لا سيما وانها تعبر عن دالة قضية ويمكننا النظر الى العبارة الوصفية من ناحية دلالتها ، فهناك عبارات وصفيـة لا تشير الى شيء موجود ، وعبارات وصفية تدل على شيء موجود [٢] ، فالعبارة « رئيس الجمهورية العربية المتحدة » والعبارة « ملك سوريا الحالي » تختلفان في الدلالة ، فالاولى تدل على شخص واحد هو « جمال عبد الناصر » ، بينما العبارة الثانية لا وجود لشيء تشير اليه وللتثبت

---

1) Frege,G-, Furktion, Begriff, Bedeutung Über Sinn und Bedeutung - P, 38

2) Russell, B-, Logic and Knowledge P, 41

من وجود الشيء الذي تدل عليه العبارة ينتقل التحليل الى دالة القضية بالشكل الآتي :

ان العبارة التي نحللها هي « مؤلف وافرلي موجود » التي يعتمد صدقها على صدق العبارات المكونة لها ، وهذه العبارات هي : « ا كتب وافرلي » وان مؤلف وافرلي هو الشخص الذي كتب وافرلي !

ولكي نتثبت من وجود مؤلف وافرلي يجب ان تكون الدالة صادقة لشخص واحد على الاقل هو ا ، ويجب ان تكون صادقة لشخص واحد على الاكثر فاذا لم يكن شخص موجود كتب وافرلى فان المؤلف غير موجود ، واذا كان ا كثر من واحد ، فان المؤلف لم يعد موجود كذلك [1] وهكذا يرتبط وجود الشيء في العبارة الوصفية بدالة ، بينما لا نقوم بتحليل مشابه في حالة القضايا البسيطة وفي هذه الحالة تبرز اهمية التحليل في التثبت من وجود الاشياء بطريقة تختلف عن طريقة فلاسفة المثالية وترتبط العبارات الوصفية بنظرية المعرفة المعروفة « المعرفة بالوصف » knowledge by description ، وتظهر اهمية التحليل لهذه العبارات عندما نعرف ان معظم معارفنا وصفية سواء كانت هذه المعرفة في حقل العلوم الانسانية او العلوم الطبيعية

ان الفلسفة التي يدافع عنها رسل هي تلك التي تؤمن بوجود المفرداث وتنفي وجود وحدات اخرى كتلك التي تكلم عنها فلاسفة الميتافيزيقا ، فالمونادات في فلسفة ليبنتز هي مفردات ، ولكنها بطبيعة الحال تختلف عن المفردات التي يتخذها رسل اساساً في فلسفته لان مفرداته تجريبية ، وليست ميتافيزيقية وفي نظرية رسل وجدنا تأكيده الدائم على دور المفردات والوقائع البسيطة في بناء العالم ، وفي تحليله العبارة الوصفية نجده يتحدث عن وجود شيء مفرد والتحليل الذي تبناه رسل تختلف طريقته باختلاف المستوى ، فلقد اكد ان العبارات الوصفية ما هي الا رموز ناقصة لا معنى لها اذا بقيت منعزلة ، ولكنه في الوقت نفسه لا يقتصر على ذكر العبارات الوصفية وحدها كرموز ناقصة ، بل يعتبر الفئات رموزاً ناقصة ، وهذا الموقف يقودنا الى تحليل الفئات واختلاف مستوياتها ، والبحث فيما اذا كان لها وجود او انها مجرد تراكيب منطقية وغير واقعية Fiction ان هذا التحليل يرتبط بنظرية الانماط المنطقية [1] ، باعتبارها الدليل الذي نميز به بين الفئات

انظر : 1) Ibid , p : 254

من جهة،وطريقة منطقية لحل المتناقصات التي تظهر في عالم الرياضيات والمنطق والفلسفةمن جهة اخرى لقد سبق ان ذكرنا ان التناقضات تظهر عندما نطلق صفة تختص بذلك الشيء الذي نطلقها عليه كما ان هـذه التناقضات تظهر في الحياة اليومية نتيجة لعدم التمييز بين مستويات المحمولات المختلفة فاذا قلت مثلا « ان جميع القضايا كاذبة » فاني لا اقول الصدق ، لان القضية التي استعملتها تقع ضمن فئة القضايا التي وصفتها بالكذب فاذا كنت اقول الصدق فاني كاذب بحكم القضية ، واذا كنت اريد الكذب فاني اقول الصدق. وهكذا يظهر التناقض بشكل واضح

ان نظرية الانماط المنطقية هي نظرية رموز وليست نظرية اشياء ، لذلك من الضروري ان يكون التمييز بين الرموز اساساً لحل التناقضات فمن الاشياء الفلسفية التي تؤدي الى حدوث المشكلات هو عدم التمييز بين المفرد والفئة وبين الفئة وفئة اخرى لذلك تكون الخطوة الاولى هي التمييز بين المفردات والفئات فالفئـة التي تضم مفردات لا يمكن ان تكون مفرداً كذلك ، وهـذا معناه ان الفئة لا يمكن ان تكون عضواً في الفئـة ذاتها ولتوضيح هذه الحقيقة نأخذ المثل الآتي : ان فئة جميع البشر ليست عضواً في فئة بشر ، بدليل انها ليست مخلوقاً بشرياً وفئة جميع الكتب هي ليست عضواً في فئة الكتب ، بدليل انها ليست كتاباً ولكننا اذا انتقلنا الى أمثلة أعقد بقليل نحصل على تناقضات ، فاذا اعتبرنا الفئـة شيئاً مثلاً والمفردات اشياء في العـالم الخارجي ، وكانت الفئة تضم أشياء ، فان الفئة باعتبارها شيئاً تضم ذاتها وعندئذٍ نقع في تناقض ويبدو الأمر أكثر وضوحاً اذا نظرنا الى التنـاقض من خلال الفئة العامة ، فالفئة العامة فئة تحتوي على جميع الفئات ، فهي على هذا الأساس باعتبارها فئة عضو في الفئة ذاتها وللحصول على التناقض نفترض :

ا — ان الفئة العامة عضو فى ذاتها ، وبذلك تكون من تلك الفئات التي هي ليست عضواً في ذاتها .. وهكذا تصبح ليست عضواً في ذاتها

ب — ان الفئة العامة ليست عضواً في ذاتها ، وبذلك تكون ليست فئة من تلك الفئات التي ليست عضواً في ذاتها ، وبعبـارة أخرى انها فئة من تلك الفئات التي هي اعضاء في ذاتها ... فهي اذن عضو في ذاتها

وفي الحالتين لدينا تناقض

لحل هذا التناقض يستعين رسل بنظرية الأنماط المنطقية ونظرية الرموز الناقصة ، فهو يرى ان المسألة كلها فيما اذا كانت الفئة عضواً أم ليست عضواً في ذاتها لا معنى لها، لأن الفئة رمز ناقص ، وان الرمز الناقص ليس له معنى لوحده ، وانه إذا دخل في قضية يفقـد ميزته الاساسية اما بالنسبة لنظرية الأنماط المنطقية فان رسل يرى ان نميز بين المستويات ، فلا نخلط بين المفردات والفئات ، وبين الفئات فيما بينها وعلينا أن ننظر الى المفردات والفئات تبعاً للتدرج الآتي : —

١ — فئة تحتوي على افراد ، وتتميز هذه الفئة انها النمط الأول من الفئات باعتبارها تحتوي على اشياء دون الفئات

٢ — فئة تحتوي على فئات هي بدورها تحتوي على افراد [فئات من النمط الأول] وتتميز هذه الفئة انها النمط الثاني من الفئات ، وتختلف اختلافاً جوهرياً عن فئات النمط الأول ، فلا تمكن أن تكون فئة النمط الثاني عضواً في فئة تضم فئات من النمط الأول

٣ — فئة تحتوي على فئات هي بدورها تحتوي على فئات تحتوي على افراد [وبعبارة أخرى : فئة لفئات لفئات] ، وتتميز هذه الفئة انها النمط الثالث وتختلف عن الفئات من النمط الثانى والأول ، ولا يصح ان تكون عضواً في فئة تحتوي فئات من النمط الثـاني أو الأول

ويرى رسل ان الفئات غير واقعية ، وان المفردات هي وحدها واقعية ، وعليه يجب ان نميز بين الموجودات ، فلا نعتبر الفئات ضمن الموجودات في العالم الخارجي أو اشياء ، لأن ذلك يقودنا الى مشكلات ميتافيزيقية وتناقضات

وأخيراً نود أن نناقش نظرية رسل في الذرية المنطقية من زاويتين : —

١ — لا شـك ان رسل في تقريره اهمية هذه النظرية في حل المشكلات الفلسفية انما يعتمد على حقيقـة هامة هي ان سبب وقوع الفلاسفة في اخطاء أوميتافيزيقا هو كونهم يجهلون قواعد اللغة ، ولا اعني بقواعد اللغة ما هو معروف عند النحويين ، بل نقصد بها المبادئ والاستعمالات الصحيحة للكلمات والعبارات والتمييز بين مستويات الاشياء التي نتحدث عنها ونظرية الذرية المنطقية كما شرحناها ترسم لنا قواعد فلسفية ضرورية ، فهي من هـــذه الناحية نظرية فى منطق المعرفة واللغة ، تعالج المشكلات وتبين الاخطاء الاساسية التي أدت الى ظهور هـذه المشكلات لذلك يمكننا اعتبار هذه النظرية معولاً

لهدم النظريات الميتافيزيقية والوقوف ضدها بتحليل دقيق لقضاياها وبيان عـدم جدوى الأشياء التي تبحث عنها

٢ — ان نظرية الذرية المنطقية لم تـكن لتوجد اذا افترضنا ابتعاد رسل عن نظريته في منطق الرياضيات والسبب الأساسي لذلك هو ان هذه النظرية ما هي الا تطبيق عملي في حقل المعرفة الفلسفية والعلمية للغـــة المنطقية الرمزية الدقيقة التي صاغها رسل في بحوثه المنطقية ، وفي « اصول الرياضيات » بصورة خاصة

لقد حقق رسل بذلك حلم ليبنتز في بناء لغة عامة تقوم بالتعبير عن المفاهيم والمبادئ الفلسفية لحل المنازعات الناشئة بين الفلاسفة ولـكن لابد لنا من تحليل هذه المحاولة على ضوء محاولات سابقة ، فمن المعروف ان الفلاسفة منذ أيام فيثاغوراس يحاولون بناء العالم تبعاً لطريقة معينة ، فالفيثاغوريون نظروا الى العالم من خلال هندستهم وحسابهم ، ونظر الفلاسفة التجريبيون امثال لوك الى العالم من خلال طريقتهم الميكانيكية ، ونظر هيجل الى العالم من خلال منطق ميتافيزيقي ان رسـل ينظر الى العالم من خلال المنطق الرياضي ، محاولاً تطبيقه على العالم أو بناء العالم تبعاً له وهو في ذلك انما يفترض سلفاً ما يجب ان يكون العالم دون ان يدرس العالم بما هو كائن فجاءت نظريته الذرية للعالم متفقة مع منطقه. وهو في عمله هذا يقيم ميتافيزيقا من نوع جديد تختلف عن النظريات الميتافيزيقية الأخرى من حيث اعتمادها على صور علمية ومنطقية ورياضية ولـكن هذه الميتافيزيقا قد تـكون ضرورية حتى في حقول العلم ، ولا يمـكن اعتبـــارها في مستوى النظريات الميتافيزيقية القديمة ، لان العلم الفيزياوي مثلاً يستخدم طريقة شبيهة بطريقة رسل من حيث بناء نظام استدلالي معتمداً على تجارب قليلة ، واستنتاج حقائق هامة تفيـــد العلم ، وهذا النظام الاستدلالي يعين العـالم على معرفة العالم المادي واحداثه ، لأنه يصور لنا العالم الخارجي بشكل معين ومنظم تتتابع احداثه وظواهره تبعاً للقضايا المفترضة في النظام الاستدلالي

ياسين خليل